الموصل في عيون شعرائها في القرن الثاني عشر للهجرة

م.م جرجيس عاكوب عبدالله الراشدي*

تاريخ التقديم: 2009/3/25 تاريخ القبول: 2009/4/22

القدمـــة

ينجذب الإنسان نحو أمكنة يتعلق بها لأسباب مختلفة، وإذا كان تعلق الإنسان العادي بالمكان إحساساً بالفرح، ف إن الشاعر تحركه المخيلة الشعرية وينهض به الوعي الشعري، إذ شكّل المكان موضوعاً في شعر الموصل في القرن الثاني عشر للهجرة. إذ يرتبط الشعراء بالأرض التي يعيشون فيها، فيرددون في أشعارهم عدداً من الأماكن والمواضع في بلادهم التي يحبونها، يحدو بهم الشوق والحنين، لأن عدداً منهم قد هاجر من دياره أو تعرضت إلى غزو أو حصار فإذا بهم يذكرون تلك الأحداث وما حل في المدينة من خراب ودمار.

والموصل من المدن التي حظيت بعناية الشعراء وفخرهم بها فكانوا يصورونها كلٌّ على وفق ما يراه فيها، فهذا يذكر أماكنها الجميلة والآخر يذكر قدسيتها، فضلاً عن ذكرهم شخصياتها السياسية والدينية التي عاصروها فرأوا تلك الشخصيات نموذجاً حيًّا للعطاء في ميادين الحياة كافة.

وعثمان بن يوسف الخطيب (ت 1146هـ/1723م)[1] من الشعراء الذين يذكرون مدينة الموصل في شعرهم فيقول[2]:

---

* قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

(1) تنظر ترجمته وأخباره في: الروض النضر في ترجمة أدباء العصر، عصام الدين عثمان بن علي بن مراد العمري، تحقيق: د. سليم النعيمي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1975م، 2/17-27، شمامة العنبر والزهر المعنبر، محمد بن مصطفى الغلامي، تحقيق: د. سليم النعيمي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1977م، ص193-199، منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء، محمد أمين بن خيرالله الخطيب العمري، تحقيق سعيد الديوه جي، مطبعة الجمهورية، الموصل، 1967م، 2/176-179، موسوعة أعلام الموصل، بسام إدريس الجلبي، منشورات كلية الحدباء الجامعة، 2004م، 1/437-438.

(2) الروض النضر: 2/20، منهل الأولياء: 2/178.

أَقِمْ ببلدتِ نا الحدب ا ءِ واستق مِ فإنه ا موص لُ الآلاءِ والنَّع مِ
أَكرِمْ به ا موطناً للقاطنينَ به ا جزيلُ ح ظٍّ من الإحسان والكرمِ
ياحُسنَ بهجتِه ا، يا طيبَ نفحتِها فاحْلُلْ بساحتِها، لا تخ شَ منْ نَدَمِ

يطلب الشاعر من الآخر بصيغة الأمر المجازي (أقم) البقاء في مدينة الموصل والإقامة فيها، ويذكرها باسمها الذي عرفت به وهو (الحدباء) "لانحداب أرضها لأن البيوت والمحال فيها لم تقع على مستوى من أرضها، بل بعضها على نشز وتلال، وبعضها في واد ومنخفض" [1]. وقال ياقوت الحموي: إنها سميت الحدباء لانحداب في دجلتها واعوجاج جريانها[2].

ويضيف الشاعر إلى البلدة ـــــــ الموصل ـــــ الحدباء ضمير المتكلم (نا) ليظهر حبه لها وارتباطه بها ويغري مخاطِبهَ بالبقاء فيها فإنها مدينة النعم والخيرات، ويمدحها بصيغة التعجب (أكرم بها) ملصقاً الكرمَ بها وبأهلها، ثم يذكر الشاعر حسنها وبهجتها.

وربما مدح شعراء الموصل رجالاً لهم دور في تاريخها، فهذا صالح بن المعمار (ت بعد 1160هـ/بعد 1747م)[3] يمدح حسين باشا الجليلي (ت 1171هـ/ 1758م)[4] بقوله[5]:

لقدومِ مولانا الوزيرِ المنتقى والمُفتدى بنفائ سِ الأرواحِ
قمرٌ متى ظل المشوقُ بفرعِهِ يُهْدَى بع زةِ وجه هِ الوضّ احِ

(1) منهل الأولياء: 55/1.
(2) معجم البلدان، ياقوت الحموي، صححه ونقحه: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت–لبنان، المجلد الثاني، 124/3.
(3) تنظر ترجمته وأخباره في الروض النضر: 350/2–353، شمامة العنبر: 330–334، منهل الأولياء: 301/1–302، موسوعة أعلام الموصل: 310/1.
(4) تنظر ترجمته وأخباره في: الروض النضر: 505/3–536، شمامة العنبر 88–91، منهل الأولياء: 144/1، موسوعة أعلام الموصل: 217/1–219.
(5) الروض النضر: 406/2.

أضحتْ به الحدباءُ دلاً تنجلي بصباحةٍ تُغن .ي عن المصب .احِ
بلدٌ متى مُحِنتْ تدرّعَ قومُها في أنفسٍ للحتف غيرِ شِحَاحِ *
أمسى الحسينُ أبو الأمين خَفيرهَا حامي الثغ .ورِ بح .زبِه النفّ .احِ

فالموصل بقدوم الوزير حسين باشا الجليلي حسناء غانية يشع وجهها نوراً وألقاً يُغني عن المصباح في الليلة الظلماء. ومتى ما تعرضت الموصل لمحنةٍ من محن الزمان تدرع قومها بأنفسهم دفاعاً عنها، فضلاً عن أن حاميها وحارسها الوزير حسين باشا الجليلي.

وقد شكَّلَتْ ظواهر الطبيعة الخارجية (البدر – القمر – النجوم – الغيث – البرق) حضوراً فاعلاً في الصورة التي تمثلها الشعراء في الموصل؛ لأن الشعراء على تماس مباشر مع الولاة الجليليين فانعكست في ذواتهم الداخلية؛ فجاءت معظم الصور مشتركة عند أغلب الشعراء.

فهذا الشاعر قاسم بن خليل بن عبدالجليل الجليلي (ت 1164هـ/ 1750م)[1] يقول[2]:

بدا في سما الحدباءِ بدراً وحولَه بنو عمَّه فيها نجومٌ طوارقُ
رَقَوا شامخاتِ العِزَّ وهو إمامُهُم فمسبوقهُمْ للعِزَّ لاشكَّ لاحقُ

يصف الشاعر حسين باشا الجليلي بأنه بدر في سماء الموصل ومن حوله أبناء أعمامه نجوم طوارق ـــــثواقب يبحثون عن مناقب العز في مدينة الموصل.

(*) في الأصل (شماح) والصواب ما أثبتناه وبه يستقيم المعنى.

(1) تنظر ترجمته وأخباره في: الروض النضر: 1/579–584، شمامة العنبر: 134–139، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل المرادي، مكتبة المثنى، 4/8–9، موسوعة أعلام الموصل: 2/22–23.

(2) الروض النضر: 1/583، شمامة العنبر: 137.

ولجأ سليم الواعظ (ت 1163هـ/1749م)[1] إلى استخدام أسلوبي الاستفهام والتشبيه لكشف صورة الكرم عند الشيخ ياسين المفتي (ت 1135هـ/ 1722م)[2] فقال[3]:

برقٌ تألق في الحدباءِ أم قمرُ استوعب الوقت فالحدباءُ قنديلُ
وهلْ أجادَ عليها الغيثُ غاديةً فليس للخير عنها اليومَ تحويلُ
أم وَبْلُ إحسانِ كهفي مُنيتي سَندي مَنْ للأنامِ عليه اليومَ تعويلُ
نَعَمْ فإنّ ندى ياسينَ حلّ بها واينعَتْ فزلالُ الماءِ معسولُ

شبه الشاعر الشيخ ياسين المفتي بالبرق الذي تألق في سماء الموصل وبالقمر بأسلوب الاستفهام محذوف الأداة الذي خرج للتعجب مبالغة في مدح الشيخ ياسين المفتي! وشبه الحدباء بالقنديل المضيء بالممدوح ثم عاد الاستفهام بالأداة (هل) للسؤال (وهل جادت عليها الغيث غادية ...) فالغيث دلالة على الخير، ثم عقب بدوامه وعدم تحوله عن الموصل، ليكرر الاستفهام بـ (أم) التي جاءت بمعنى (بل) أي التقدير (بل وبل إحسان) فالشيخ ياسين المفتي ليس غيثاً فحسب بل وبل إحسان غزير الخير، والناس يعولون عليه في الحلم والحكمة. ثم يجيب الشاعر عن الاستفهام السابق بـ (نعم) فكل ما سبق من سؤال جوابه أن الشيخ ياسين المفتي حل بالموصل فأينعت ونزل الماء مخالطاً للعسل لعذوبة الممدوح وصفاء أخلاقه وكرم سجيته. لقد أجاد الشاعر في توظيفه لأسلوب الاستفهام الذي لا يكاد بيت يخلو منه في مدح الشيخ ياسين المفتي بأدوات الاستفهام من (الهمزة المحذوفة وهل وأم) ثم جواب الاستفهام بـ (نعم) للدلالة على تنوع خيرات الشيخ ياسين المفتي في الموصل.

---

(1) تنظر ترجمته وأخباره في: الروض النضر: 31/2-35، منهل الأولياء: 273/1، موسوعة أعلام الموصل: 289/1.

(2) تنظر في ترجمته وأخباره في: الروض النضر: 372/1-402، منهل الأولياء: 223/1، تاريخ الأدب العربي في العراق، عباس العزاوي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1962م، 197/2-199.

(3) الروض النضر: 32/2.

ونظر قاسم بن محمد حسن البزاز (ت 1164هـ/1750م)[1] إلى الرعاية الكريمة التي حظيت بها الموصل من محمد أمين باشا الجليلي (ت 1189هـ/1776م)[2] الذي ألبسها تاجاً من العز والفخر فيقول[3]:

لموصلِنا البشرى إذ انتسبتْ لِمَنْ بهمَّته العُليا عَلا كُل ذي قَدْرِ
كساها جلا بيباً من القَدْرِ والبَهَا وصاغ لها تاجاً من العزَّ والفَخْرِ

فيرى الشاعر أن انتساب الموصل لمحمد أمين باشا الجليلي من البشائر لما فيه من الهمة العالية والقدر الجليل فكساها من العز والفخر تاجاً تفتخر به بين المدن، ومن المعروف أنَّ الرجل ينتسب إلى المكان فيعرف به، لكن الشاعر غيرَّ تلك المفاهيم فجعل المكان بما يحتويه من قيم وأعرافٍ ينتسبُ لرجلٍ كان في أصل وجوده يفخرُ بالمكان.

والأمكنة التي يعيش فيها الشاعر لا تبقى جامدة ساكنة بل متحركة متقلبة تسكن من الشاعر ذاكرته وتأسر خياله، و (المكان الذي يأسر الخيال لا يمكن ان يبقى مكاناً لا مبالياً خاضعاً لأبعاد هندسية وحسب، بل هو مكان عاش فيه الناس ليس بطريقة موضوعية، وإنما بكل ما للخيال من تميزات) [4] وينبغي لنا أن نشير إلى أن المكان الجغرافي يكتسب في النص أبعاداً نفسية واجتماعية وتاريخية وعقائدية تجسد به ومن خلاله موقف شعراء الموصل في القرن الثاني عشر للهجرة من سياسة الوالي الجليلي في صلته بالرعية وتحصين حدود الولاية وإدارة شؤون الحكم فيها، فقد شهدت مدينة الموصل أحداثاً سياسية وعسكرية مهمة، فكان

(1) تنظر ترجمته وأخباره في: الروض النضر: 420/2–423، شمامة العنبر: 266–271، منهل الأولياء: 208/1، موسوعة أعلام الموصل: 25/2–26.

(2) تنظر ترجمته وأخباره في: الروض النضر: 237/1–274، شمامة العنبر: 45–46، منهل الأولياء: 166/1–175.

(3) شمامة العنبر: 269.

(4) بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، سيزا قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1984م، ص76.

لحصار نادر شاه (1156هـ/1743م)[1] لمدينة الموصل، الأثر العظيم في نفوس أهل الموصل ولاسيما شعرائها، الذين كانوا يسطرون في قصائدهم التفاصيل الدقيقة لأحداث الحصار وموقف أهالي المدينة منه ولاسيما قائدها حسين باشا الجليلي الذي استطاع بهمته وقيادته الشجاعة أن يدحر نادر شاه وقواته، فكان الشعراء يرون الموصل من خلال قائدها حسين باشا الجليلي وما يتمتع به من القيادة الحكيمة والشجاعة فلأظهروا عاطفتهم الفياضة تجاه مدينة الموصل ولاسيما من عانى منهم من وطأة الحصار وويلاته ورأى بأم عينه دقائق لم يَرَهَا غيره، فأجاد في وصفها وبرع في تصويرها. فمنهم من ذكر نساء الحدباء يستنجدن بالوالي (حسين باشا الجليلي) مثل محمد بن مصطفى الغلامي (1186هـ/1772م)[2] في قوله[3]:

ويومٍ له الحدباءُ شابَ وليدُها فتلقي به الحُبلى الجنينَ وتندبُ
تنادي حسيناً والفوارسُ أسطُرٌ وبالسّورِ أقلامُ المدافِعِ تكتُبُ
هنالكَ ب أنَ السيّد السَّنَدُ الذي له الرايةُ البيضاءُ أقوى وأغلبُ

في هذه الأبيات اقتباس معنوي من القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا** ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿**يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا** ﴾[5]. إذ جاءت الاستعارة التمثيلية قائمة على

(1) ينظر: الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي (1139هـ-1249هـ) (1726م-1834م)، عماد عبدالسلام رؤوف، مطبعة الآداب، النجف، 1975م، ص102-112.

(2) تنظر ترجمته وأخباره في: الروض النضر: 1/430-495، شمامة العنبر: مقدمة المحقق 3-34 و 160-172، محمد بن مصطفى الغلامي الموصلي حياته وشعره، جرجيس عاكوب عبدالله الراشدي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب/ جامعة الموصل، 2005، ص14-33.

(3) شمامة العنبر: 167، العلم السامي في ترجمته الشيخ محمد الغلامي، جمع وتأليف: محمد رؤوف الغلامي، الناشر: عبدالمنعم الغلامي، مطبعة أم الربيعين، الموصل، 1942م، ص183-184.

(4) سورة الحج، الآية: 2.

(5) سورة المزمل، الآية: 17.

تشبيه حالة بحالة، حيث شبهُ يوم الحصار بيوم الحشر للمبالغة في الخوف من المصير المجهول.

وقال محمد بن مصطفى الغلامي في قصيدة أخرى يمدح بها حسين باشا الجليلي[1]:

أقرّتْ بكَ الحدباءُ عينَ الأمانِ إذ غدا لجيوشِ الملحدينَ بها لَحْدُ
لقد رجع الشاهُ العنيدُ مخيّباً يُبِينُ الرضا والقلبُ مزّقه الحِقْدُ

حاول الشاعر إبراز ممدوحه من خلال آلية التضاد إذ رسم صورتين الأولى مثلت مدينة الحدباء وقد أصبحت آمنة وأقرت الحدباء بـ (حسين باشا الجليلي) الذي كان سبباً في هذا الأمان والصورة الثانية مثلها (نادر شاه) الذي رجع خائباً وهو يظهر الرضا وقلبه مزقه الحقد فجيشه الملحد قد انهزم أمام صبر هذه المدينة وعزم أهلها على الانتصار؛ إذ استعمل الشاعر ألفاظا تدل على هذا الفشل الذريع للشاه (غدا، لحد، رجع، مخيباً، مزقه الحقد) مقابل الألفاظ المدحية لـ (حسين باشا الجليلي) (أقرت بك، عين الأمان).

وتمتلئ هذه الأبيات بالحركة المتضادة بين حسين باشا الجليلي ومدينة الموصل وبين الشاه وجيشه، إذ رسمت لنا صورة الموصل الذي عمها الأمان مقابل صورة جيش نادر شاه المنهزم من المعركة.

ويصور لنا محمد بن مصطفى الغلامي الموصل فيقول[2]:

سلوا ساكني الحدباءِ إذ أحدقت بهمْ بروق المواضي والقنا المتأود
وإذ أرْخَت الخيلُ الأعنَّةَ ضحوةً يصولُ عليها كلُ باغٍ وملحدُ

يبدأ الشاعر بسؤال تقريري بـ (سلوا ساكني الحدباء) يؤكد جسامة الحدث، وضراوة القتال ويبين زمن الحدث (ضحوة) وسرعة (يصول) فضلاً عن وصف الغزاة بالبغاة الملحدين.

---

(1) شمامة العنبر: 172، العلم السامي: 189.

(2) الحجة على من زاد على بن حجة، عثمان بك الحيائي الجليلي، طبعه واعتنى بتصحيحه: د. محمد صديق الجليلي، مطبعة أم الربيعين، الموصل، 1937م، ص 52–53.

وتظهر الصورة القيادية للوزير حسين باشا الجليلي عند موسى بن جعفر الحداد (ت 1186هـ/1772م)[1] بقوله[2]:

فقامَ يحمي طريقَ الحقِ مجتهداً يَطوي الدجى بجنانٍ جلّ عن وَجَفِ
يبيتُ في رَبَضِ * الحدباءِ محتسباً خليَّ بالٍ عن اللذاتِ والترفِ
وَقَّد بالسُّمْرِ والبيضِ الرقاقِ طلا حتى امتلا خندقُ الحدباءِ بالجيَفِ

في هذه الأبيات يبدو التواصل بين القائد (حسين باشا الجليلي) والمكان (الموصل)؛ لأنَّ للأفعال دلالاتها (يحمي، يبيت، يطوي الدجى) ولأهمية المكان ذكر الشاعر الحدباء مرتين وهذا له دلالة معنوية عنده.

ومن جانب آخر يصف الشاعر خليل بن علي إسماعيل البصير (ت 1176هـ/1762م)[3] رعاية الله سبحانه وتعالى لأهل الموصل بقوله[4]:

كفى اللهُ أهلَ الموصلِ الشرَّ إذ أتى عدوٌّ لهمْ من جانبِ الشرقِ ناهضُ
أجلَّ ملوكِ العَجْمِ نادرٌ اسمه ظلومٌ غشومٌ للمواثيق ناقضُ
سبى نسوةَ السكّانِ في البيدِ والقرى بظلمٍ وكلٌّ بالمهالِكِ خائضُ
فلما أزال اللهُ عنّا شعوبَهمْ بتوفيقه أرّخْتُ (زال الروافد)

يرى الشاعر ان الله كفى أهل الموصل الشر الذي أبطنه لهم عدوهم (نادر شاه) الذي جاء بجيشه الجرار من الجانب الشرقي للمدينة، فسبى النساء في طريقه ونهب الأنعام والخيرات فما أبقى شيئاً، وحاصر مدينة الموصل وشن عليها حرباً حتى عطل الفرائض وصلاة الجماعة في المدينة.

---

(1) تنظر ترجمته وأخباره في: الروض النضر: 2/408-416، شمامة العنبر: 290-295، منهل الأولياء: 186/1، موسوعة أعلام الموصل: 2/276-277.

(2) الروض النضر: 525/1.

(*) في الأصل (ريض) والصواب ما أثبتناه وبه يستقيم المعنى.

(3) تنظر ترجمته وأخباره في: الروض النضر: 1/347-355، شمامة العنبر: 125-133، سلك الدرر: 2/102-103، موسوعة أعلام الموصل: 247/1.

(4) الروض النضر: 1/348-349.

وذكر بعض الشعراء الهجمات التي تعرضت لها مدينة الموصل، فهذا عصام الدين عثمان بن علي العمري (ت 1184هـ/1770م)[1] يقول[2]:

سَلِ الأعاجمَ عن حربٍ ومعتَرَكٍ ما احتاجَ فيها إلى خيلٍ ولا خَوَلِ
إذْ شَنّتِ العُجْمُ غاراتِ السباقِ إلى أطرافِ بلدتِنا الحدباءِ بالحِيلِ

يرسم لنا الشاعر صورة حرب دون أن يكون للخيل دور بارز لأن العجم هم الذين شنوا الهجمات وقطعوا مئات الكيلو مترات ليصلوا إلى الموصل ويحاصروها بالحيل والخداع.

ويرسم لنا محمد بن مصطفى الغلامي صورة للموصل وهي ترفل بالأمن والعطاء بعد أن مرت أيام الغزو عليها قائلاً[3]:

واستبشَرَ القلبُ في نيل المرادِ كما استبشرتْ موصلٌ بالأمنِ والخصَبِ
فكيف لا وأمينُ اللهِ حاكمُها يذُبُّ عنها ويحميها من العَطَبِ

فهذا الشاعر يستبشر بعطاء ممدوحه كما استبشرت الموصل به من قبل إذ عم الأمان وكثر الخير لأن الله منَّ عليها بحاكم يحميها من كل شر.

ولمحمد بن مصطفى الغلامي، أبيات من قصيدة أخرى تصور مدينة الموصل على وجهها الحقيقي حيث لا مكان للإنسان الجاهل فيها ولا للبغاة والطغاة فيقول[4]:

أَرْخِ العَنانَ إلى الحديبا إنه ا بلدٌ يم وتُ بها الجه ولُ ويمح قُ
ما بين قلعتِه ا وبابِ جديدِه ا باغٍ يم وتُ وأل فُ طاغٍ يخن قُ

إن الموصل مدينة تتحكم بالأشياء وتديرها فإذا بالسياق الشعري يمثل نوعاً من التباهي والتسامي مع هذه المدينة التي أصبحت لا تتقبل الغريب الذي لاقت

---

(1) تنظر ترجمته وأخباره في: الروض النضر: 1/8-22، شمامة العنبر: 84-98، منهل الأولياء: 233/1.
(2) الروض النضر: 532/1.
(3) شمامة العنبر: 395، العلم السامي، 229.
(4) الحجة: 34.

منه الويلات واستلب الملامح الجميلة فيها. ويذكر الشاعر مواقع جغرافية في المدينة لها بروز مادي، وسلوك واعٍ في مواجهة الحدث المفاجئ، إذ تختزل المسافة بين الموقعين (القلعة والباب الجديد) المدينة بأسوارها ورجالها كافة في دحر الباغي والطغاة.

انها مدينة العلماء والشيوخ والأبطال الصناديد. ويرسم محمد بن مصطفى الغلامي لأهل الموصل صورة إذ يقول[1]:

سَلِ الرسمَ عن عذراءَ أخلتْ مزارَها * على الموصلِ الحدباءِ أعهدَ دارُها

يؤجِّجُ ناراً للضيافِ ـةِ قومُه ـا كما أُضرِمَتْ في مهجةِ الصّبِ نارُها

يقرن الشاعر الكرم الذي يقوم به أهل الموصل بالنار التي أضرمت للأعداء فمثلما توقد نارهم للضيافة كذلك توقد لتحرق أعداءهم، إذ وفق الشاعر في تشبيه صورة الكرم بصورة الدفاع عن المدينة.

ويرى الشاعر قاسم الرامي (ت 1186هـ/1772م)[2] في الوالي محمد أمين باشا الجليلي منقذاً للموصل من الهلاك فيقول[3]:

أنقذتَ موصلَنا من كلِّ مَهْلكةٍ وقلل ك لُّ سفي.هٍ: آهُ وا حَ رَبي

راياتُ نصرِك بالإقبال خافقةً وسيفُ عزمكَ يُفري هامةَ الرَّيَب

إن للفعل (أنقذت) دلالة معنوية توحي بقوة محمد أمين باشا وعزيمته ورباطة جأشه التي حمت الموصل من كل مهلكة ومن جماليات الصورة رايات النصر خفاقة ترفرف بالنصر ،إلى جانب الاستعارة الجميلة في قوله (سيف عزمك) دلالة على القوة والعزيمة وهناك صورة أخرى في قوله (هامة الريب) إذ جعل سيف

---

(1) الروض النضر: 569/1، شمامة العنبر: 167.

(*) في الروض النضر (قفا نبك من عذراء أخلت مزارها).

(2) تنظر ترجمته وأخباره في: الروض النضر: 246/2–278، شمامة العنبر: 259–265، موسوعة أعلام الموصل: 26/2، قاسم الرامي الموصلي (ت 1186هـ/ 1772م) حياته وشعره مجموعاً محققاً، د. عبدالله محمود طه المولى، أ. جرجيس عاكوب عبدالله الراشدي، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مجلد13، عدد7، ص301–331.

(3) الروض النضر: 261/2.

محمد أمين باشا يعشق رؤوس الأعداء لقطعها وهي تحاول الاعتداء على الموصل.

وبما أن الشخصيات السياسية والدينية تمثل الموصل خير تمثيل فقد كان الشعراء ينظرون إلى الموصل من خلالها، فنظر محمد بن مصطفى الغلامي إلى سليمان باشا الجليلي (ت 1211هـ/1796م)[1] فقال[2]:

بدرٌ إذا غابَ في حدبائِنا عن عين كم فاض شوقاً إلى ملقاهُ منها عين
وكم بذل بين أرباب المعارف عين تاج لرأسِ الُعلا بل للمفاخر عين

فيرى الغلامي سليمان باشا الجليلي بدراً إذا غاب في الموصل عن عيوننا وكم فاضت شوقاً إليه، وكم أخذ العلماء من عيون سليمان باشا الجليلي العلم حتى أصبح تاجاً للمفاخر. ونجد الشاعر كرر لفظة (عين) وهو أسلوب بلاغي إذ تتكرر اللفظة ويختلف معناها، ويعرف هذا الأسلوب بالجناس التام وهو من المحسنات البديعة.

وله نظرة أخرى إلى الموصل من خلال وزيرها سليمان باشا الجليلي إذ يقول[3]:

بقدوم الفتى سليم ـانَ لاح ـتْ غرّةُ الفجـ ـرِ في جبينِ الليال ـي
جاءتِ الموصلَ الحُدييآء بشرى بشّرتنا بالأَم ـنِ بع ـدَ النّك ـالِ
طلعةُ البدرِ اشرق ـتْ في حِماه ـا فكفـى المؤمن ينَ شرَّ القت ـالِ

قبل أن يتولى سليمان باشا الجليلي ولاية الموصل كانت قد مرت ببعض الفتن التي أدت إلى زعزعة النظام في المدينة، وقدوم الوزير إلى الموصل والياً فعل إيجابي مملوء بالحركة والخصب إذ استقرت الأوضاع وعم السلام واستبشر أهالي الموصل بالخير والأمان بعد الاقتتال. ونلاحظ اقتباساً من قوله تعالى:

---

(1) تنظر ترجمته وأخباره في: منهل الأولياء، 1/186–189، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، ياسين بن خيرالله العمري، نشر وتحقيق: علي البصري، مطبعة دار البصري، بغداد، 1968م، ص326–327، موسوعة أعلام الموصل: 1/295–296.

(2) العلم السامي: 79.

(3) العلم السامي: 240.

﴿**وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ**﴾[1] له دلالة دينية حفظ الله بها الموصل بعد أن دفع عنها البلاء وكفى أهلها شر القتال بينهم.

وتبقى نظرتنا إلى الموصل من خلال القصائد التي قيلت في مدح شخصياتها.

فهذا موسى بن جعفر الحداد يمدح يحيى بن عبدي بن يونس الجليلي (ت شعبان رمضان محرم هـ/ربيع الثاني شعبان رجب محرم)[2]. إذ قال فيه[3]:

فقلتُ وآعجبا والدمعُ يسبقني من السرور الذي قد أذهلَ الفِكْرا
هل واردُ الخَير للحدباءِ أبهجَها أمْ هل بشيرُ التهاني بالسرورِ سَرا
فقيل لي: إنّ يحيى الفضل ركنُ بني عبدِالجليل من الشهباءِ قد صَدَرا

استخدم الشاعر ألفاظ الفرح والسرور (السرور، أبهج، التهاني) ليعبر عن فرح أهل الموصل بقدوم يحيى الجليلي، فضلاً عن الحوار المعلن بين الفعلين (قلت وقيل) الذي أعطى صورة جميلة وهو يتساءل عن الذي أبهج الموصل أدخل السرور على أهلها، فكان الجواب: يحيى الجليلي الذي استحضر فيه شخصية (يحيى البرمكي) في العصر العباسي عندما قال (يحيى الفضل) وهذا الإقرار يفيد كرم يحيى الجليلي من جهة واحتفاء أهل الموصل به دليلاً على شدة الترابط الاجتماعي بين أهالي الموصل. إذ تشكل المكانة الاجتماعية للعربي وما يتصل بها من حسب ونسب عاملاً مهماً من عوامل النظرة إليه.

فهذا مصطفى بن علي الغلامي (ت بعد 1141هـ/1727م)[4] يتحدث عن شرف نسب عبدالباقي بن مراد بن عثمان العمري (ت 1109هـ/ 1697م)[1] الذي يتصل نسبه بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ فيقول[2]:

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: 25.

(2) تنظر ترجمته وأخباره في: منهل الأولياء: 22/1 و 261–262، تاريخ الموصل، سليمان الصائغ، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1928م، 199/2–200، الأعلام، خير الدين الزركلي، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م، 152/8، موسوعة أعلام الموصل: 328/2–329.

(3) شمامة العنبر: 293.

(4) تنظر ترجمته وأخباره في: الروض النضر: 411/1–424، شمامة العنبر: 4–5 و 145، منهل الأولياء: 252/1، موسوعة أعلام الموصل: 253/2.

شَرُفَتْ بكَ الحدباءُ يا عُمَري كما شَرُفَ الثرى بأصولِك الأشرافِ

يرتكز الشاعر على انتساب عبدالباقي العمري إلى البيت العمري فتشرفت به الموصل وأرضها التي ضمت رفاة أجداده ويدعو له بالبقاء ليدوم الشرف للموصل.

وهذا محمد بن قاسم بن محمد العبدلي (ت 1164هـ/1750م)[3] ينظم قصيدة يذكر فيها ما كان في الموصل من شدة وغلاء فيقول[4]:

بشرى لمن حَلَّ بالحدباءِ قد برزت قرائنُ الخِصب بعدَ الجَدْبِ إذْ غَبَرا
غلا فأرخَص أرواحَ العبادِ وقد تسعّرت بِضِرامٍ في الحشا سُعُرا
يشكو الغَنيُّ به فقراً فكيفَ بمن أمسى مُعِيلاً عليل الجْسِم مُنْذ عَسَرَا
فما لَنَا غيرَ ربَّ العرشِ خالقِنا نشكو له لا لمنْ قد تاهَ أو بَطَرا

استخدم الشاعر البشارة دلالة على الخير الذي حل بالموصل فضلاً عن الطباق الذي أ وجده بين الخصب والجدب، والغلاء والرفض، والغنى والفقر، دلالة على الحياة والحيوية،وجاء الفعل (يشكو) دلالة على التحول المادي والمعنوي من الغنى إلى الفقر ومن الصحة إلى السقم ومن كثرة المال إلى كثرة العيال، وجاءت عناية الله (عز وجل) بعباده فنزلت رحمته بأهل الموصل فبعد الغلاء والجدب خصبت أرضها، فما كان ذلك إلا بعد أنْ تضرع أهل الموصل لله (عز وجل) فنزلت رحمته ومغفرته.

---

(1) تنظر ترجمته وأخباره في: الروض النضر: 1/51–177، شمامة العنبر: 51–75، منهل الأولياء: 227/1، موسوعة أعلام الموصل: 233/1.

(2) الروض النضر: 414/1.

(3) تنظر ترجمته وأخباره في: الروض النضر: 2/36–48، شمامة العنبر: 280–289، موسوعة أعلام الموصل: 2/178–179، محمد بن قاسم العبدلي (ت 1164هـ–1750م) حياته وشعره مجموعاً محققاً، د. عبدالله محمود طه المولى، أ. فارس ياسين محمد الحمداني، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مجلد 13، العدد 9، ص425–456.

(4) شمامة العنبر: 286.

وقد اتخذ الشاعر جرجيس بن درويش الموصلي (ت 1141هـ/ 1728م)[1] من مدينة الموصل ميداناً لاستعارته واسترجاع طموحاته الإنسانية إذ أرخ بناء المدرسة التي أنشأها إسماعيل بن عبدالجليل (ت 1146هـ/ 1733م)[2] سنة 1114هـ والتاريخ سبعة أبيات كل آخر شطر منها تاريخ كامل خالٍ من التعقيد والتكلف فيقول[3]:

لقد زانت الحدباءَ مدرسةٌ حوت لسائر أهلِ العلمِ والزهدِ والتقوى
تفوق على كلَّ البناءِ تفضلاً وكيف وقد أمسَى الحديثُ بها يُروى
أقام خليلُ الخيرِ والفضلِ والتقى بهاتَ عماد الدين جاءت كما يهوى
وإذ يرفُع ابراهيمُ منها قواعداً بصدقٍ عسى أنّ الجِنان له مثوى
وكان له اسماعيل أجدى مساعدٍ لقد حاز عفَو اللهِ في ساعةِ الدعوى
فبشرى لهم فازوا بما قد تبرّعوا وتقياهُمُ للهِ في السرَّ والنجوى
فخذ كلَّ ثاني شطرِ سطرٍ مؤرخاً جزا اللهُ للمنشي لها جنةَ المأوى

يبين الشاعر أن المدرسة حوت العلم والزهد والتقوى وهي محركات أساسية يراها الشاعر ثم ما لبث أن ضمن عبارات تشير إلى الجانب الديني فقد تمثلت في أسماء الأنبياء الذين أثارت مدينة الموصل ذكراهم في مخيلة الشاعر. إلا أن الأبيات تخلو من الحس الشعوري فهي تنصب في جانب ديني بحت وتعكس توجه الشاعر الديني، وذكر الأنبياء وتوظيف أسمائهم وشخوصهم في الشعر جعل الشاعر يميل إلى اقتباس أي من القرآن الكريم والإفادة منه في صدر البيت الرابع:

وإذ يرفع إبراهيم ... في إشارة إلى قوله تعالى:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ

(1) تنظر ترجمته وأخباره في: الروض النضر: 178/2-245، شمامة العنبر: 272-279، الحجة: 97-101، موسوعة أعلام الموصل: 180/1-181.

(2) تنظر ترجمته وأخباره في: منهل الأولياء: 143/1، منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء، ياسين العمري، تحقيق: سعيد الديوه جي، مطبعة الهدف، الموصل، 1955م، ص81، تاريخ الموصل للصائغ: 274/1، الموصل في العهد العثماني فترة الحكم المحلي: 39.

(3) شمامة العنبر: 272، الحجة: 98.

الْعَلِيمُ﴾[1]. وهذه القصيدة جاءت لتؤرخ بناء مدرسة فجعل عجز كل بيت تأريخاً شعريًّا وهذا يدل على براعة الشاعر في التاريخ الشعري والمدرسة جزءٌ من جامع الأغوات في مدينة الموصل.

وعبر بعض الشعراء عن حبه للموصل بطريقة سلسلة تتطلب سرعة البداهة والتفكير فجعل لفظة (الموصل) في لغز شعري، ذلك ما قام به قاسم الرامي (ت ١٢٠٠هـ/صَفَرٌ رَجَبٌ رَجَبٌ مُحَرَّمٌ) وأرسله إلى محمد بن مصطفى الغلامي قائلاً[2]:

ما اسم شيء ق د حك ـى صدرُه	**مبسرَ من أهوى لذيذَ الك ـلامْ**
وقد حكى ثاني ـهِ صدغاً ب دا	**والثالثُ الع ـينَ وباقي ـهِ لامْ**
وإن قلب تَ الك ـل من ـه تج دْ	**مَعْ ح ذفِ أخ راه نهارَ الصيامْ**
لصدره وذيل ـهِ مِ ـلْ تَ رَ	**مكارماً تب دو بأهن ـى مق ـامْ**
حروفهُ مهمل ـةٌ كلُّه ـا	**كأنما العجم ـةُ في ـه ح ـرام**
وإنْ ت زدْ ب ـاءً عل ـى ذيلِ ـهِ	**تراهُ لبًّ ـا وه ـو فخ رُ الأنَ ـام**
وصدره مَعْ عج ـزه فيهم ـا	**زِدْ ألِفاً تلق ـاهُ في ضَ الك ـرام**
كذا تجدْهُ فعلَ غُصْنِ النقا	**وأهيَفَ القَ دْرِ رشي قَ الق وام**
حروفه أع ـدادُ مجموعِه ـا	**سبتٌّ وست ون ومئ ـةٌ تم ـام**

يقف الشاعر أمام لفظة (الموصل) ويستجمع أفكاره ويتأمل صياغتها فيجعل من كل بيت فكرة أو فكرتين ليصل في نهاية القصيدة إلى مجموعة من الحلقات التي تساعد في كشف اللغز ففي البيت الثالث يقول: إذا حذفت حرف اللام من لفظة (الموصل) وقرأت باقي الحروف بشكل عكسي فتكون لفظة (صوم). وفي البيت الخامس يكشف بان حروف اللغز مهملة بلا نقاط، وفي البيت السادس إذا زدت حرف الباء على مقطعه الأخير (صل) تصبح (صلبا). وفي

(1) سورة البقرة، الآية: 127.

(2) شمامة العنبر: 261، العلم السامي: 41–42.

البيت التاسع يستخدم التاريخ الشعري فيجمع الأرقام الحسابية التي تقابل لفظة (الموصل) فتصبح (166).

ويقف محمد بن مصطفى الغلامي أمام هذا اللغز يستجمع أفكاره ويكشف حلقات اللغز فيقول[1]:

ألغزتَ يا م ـولاي ف ـي بقع ـةٍ تجري لها الدجلةُ ج ـريَ الكِرامْ
فنصفها الآخ ـرُ م ـن لفظِه ـا أمرٌ لمحبوبٍ ك عن ـدَ انص ـرامْ
كذا تجدْهُ ف ـرخَ أَفع ـىً غ ـدا ينساب في الأرضِ رقيقَ العِظامْ
وَنِصْفُها الأوّلُ بالس ـينِ ص لِْ وخُذْ عِذارَ الح ـبَّ بدرَ التم ـامْ
ونصفُه الآخرُ بالب ـاءِ ص لِْ تجده مأكولاً لن ـا ف ـي الطع ـام
لا يخ ـرجُ النرج ـسُ إلا ب ـهِ والزَّنْبَقُ الأبيضُ فـي ذاك تام
مجموعةٌ جامعُه ـا أحم ـرُ يدعو له ـا حيناً وبالبابِ قام
عجوزةٌ حدب ـاءُ أبن ـاؤها ببابَيِ الحدباءِ تُبدي ابتسام
حُدْبَتُه ـا كالق ـوسِ محني ـةٌ والهفَ قلبي بين ق ـوسِ ورام
دُمْ في ذوي العلياءِ لي ملغ ـزاً في بلدةِ الموصل ياذا الهُم ـام

يبدأ الشاعر بتحديد الموقع الجغرافي للمدينة وذلك بجريان دجلة بها، وفي البيت الثاني يكشف عن الجزء الثاني من لفظة (الموصل) (صل) وذلك بأمر المحبوب بالوصل عند الجفاء، وفي البيت الرابع يدعو إلى وصل حرف السين بالمقطع الأول من لفظة (الموصل) فتصبح (سمو)، وفي البيت الخامس يصل الباء بالمقطع الثاني من لفظة (الموصل) فتصبح (بصل)، وفي البيت الأخير يعلن صراحة لفظة (الموصل) ويكشف عن اللغز.

* * *

تميزت قصائد القرن الثاني عشر للهجرة في (الموصل) بأسلوب سلس سهل الألفاظ وكثر فيها استخدام لفظة (الحدباء) بدلاً من الموصل إذ يميل شعراء

(1) شمامة العنبر: 261–262، العلم السامي: 42–43.

ذلك العصر إلى استعمال ألفاظ منها (بشرى، وأشرقت، وشرفت، والغيث) إذ تكاد تقترب هذه المعاني من بعضها البعض في قصائدهم، ويبدو أن سبب ذلك هو تأثر الشعراء بعضهم ببعض في ذلك العصر، ضمن موقع جغرافي محدد.

Mosul for the Poets in the Twelfth Century A.H.

Jarjees A. Abdullah*

Abstract

The human being is attracted to places for various reasons. Thus if the attraction of an average human is a feeling of happiness, the poet is moved by his poetic imagination and he is stimulated by his poetic conscious. place (location) was a subject in Mosul's poetry in the 11th century because poets are connected to the place in which they love and recite in their poems a number of places and subjects in their country they love, prompted by longing and homesick because a number of those poets have immigrated from their country after it has been invaded or besiege. We find them recalling these events and the destruction inflicted on their city.

Mosul is one of the cities that has received great consideration and pride from its poets who portrayed the city, each according to his own point of view. One poets expresses its beautiful places and another expresses its holiness besides recalling the political and religious figures in their time and saw that these characters are living model for contribution in various fields of life.

* Department of Arabic/ College of Arts/ University of Mosul.